تاريخ استقبال المقال: 2015/11/14 تاريخ قبول نشر المقال:2016/01/17 تاريخ نشر المقال:2016/09/20

المضامين العنيفةعبر مواقع الإعلام الجديد وأثرها فينشر السّلوكات المنحرفة.

أ. عبد الله ملوكي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف02 – الجزائر

البريد الإلكتروني:abdellah.melouki@hotmail.fr

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة العلميّة إلى التّطلّع عن قرب على واقع البيئة الإعلاميّة الجديدة ، وأثر مواقع الشّبكات الاجتماعيّة في تعزيز انتشار السّلوكات المنحرفة في الواقع المعيش، كما نهدف إلى تسليط الضّوء على أهمّ الآثار النّفسيّة التي تخلّفه ا المضامين العنيفة عبر مواقع الشّبكات الاجتماعيّة على الأفراد، بالإضافة إلى أنّنا سنحاول التركيز – من خلال هذه الورقة – على الكشف عن إسهام المحتويات العنيفة عبر مواقع الشّبكات الاجتماعيّة في إشباع حاجات العنف والعدوان لدى الأفراد المتلقين لها من منظور وصفي تحليلي.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الجديد، السّلوك المنحرف، مواقع الشبكات الاجتماعية.

The Impact of Violent Contents Via New Media in Spreading Deviant Behavior.

Abstract :

This document seeks to examine closely the reality of new media environment and the several effects of social network sites in enhancing the spread of deviant behavior in society. In another side we seek to put light on the most important psychological effects that can be produced via violent content through social network sites on individuals. In addition, we are trying to discover its role in gratifying the needs of deviance and violence for receivers via Social Network Sites; from descriptive and analytical sides.

Keywords: New Media, Deviant Behavior, Social Network Sites.

مقدمة:

تكتسي تكنولوجيا الاتصال الحديثة أهميّة بالغة في حياة الأفراد والمجتمعات؛ ذلك لما لها من قدرة عالية على تخطى الحدود المكانيّة، وتقريب الفواصل الزمنية بين مختلف الأفراد والهيئات دون مراعاة للفوارق الإثنية، والأيديولوجية، والعقائدية.

بالإضافة إلى ذلك، تعدّ مواقع الشّبكات الاجتماعيّة من بين أهم ما تمخّض عن الشّبكة العنكبوتية العالمية؛ الناجمة عن أبرز التّطوّرات التّقنيّة والبرمجيّة على مستوى كل من الجيلين الثاني والثالث للإنترنت(Web2.0&3.0)، حيث باتت تشكل مواقع الشبكات الاجتماعية بيئة افتراضيّة؛ تسمح للأفراد بممارسة العديد من النشاطات المحاكية والموازية للواقع المعيش بطريقة مستمرة؛ كتبادل الآراء، وتقاسم الاهتمامات والمشاركة فيها، وطرح مختلف القضايا للتّحاور والنّقاش.

يتميز الفضاء الافتراضي عبر مواقع الشبكات الاجتماعية بغزارة المضامين المتنوعة؛ والتي يمكن أن تحمل في طياتها العديد من المحتويات ذات الطابع العنيف والإجرامي؛ والتي قد تسهم في نشر وتعزيز السّلوكات المنحرفة لدى الأفراد، والعاملة على إشباع مختلف رغباتهم الإجرامية، وفي ظل هذا السياق يرتكز سؤالنا المحوري حول:

ما هو الأثر الذي تضطلع به المضامين العنيفة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية في نشر السّلوكات المنحرفة لدى الأفراد؟

وتحت هذا السؤال المحوري يمكن طرح التساؤلات الفرعية الآتية:

1. كيف يمكن للفرد أن يكتسب السّلوكات المنحرفة عبر المضامين العنيفة في الفضاء الافتراضي الرقمي؟
2. كيف يمكن لمواقع الشبكات الاجتماعية أن تساهم في عولمة الجريمة؟
3. كيف يمكن للمضامين العنيفة–عبر مواقع الشبكات الاجتماعية؛ أن تساهم في إشباع الحاجات والرغبات العدوانية لدى الأفراد اللذين يمتلكون ميول إيجابية تجاه السلوك المنحرف؟

أولا:المفاهيم الأساس للدراسة: تتعدد وتتنوع المفاهيم الرئيسة المتعلقة بموضوع دراستنا، حيث تتجسد من خلال كل من:

1. مفهوم الانحراف السلوكي.

تتعدد وتتنوع المفاهيم المتعلقة بمصطلح الانحراف، حيث ورد في معجم المصطلحات الاجتماعية لـ **(جيلفريول**–Gille Ferréol) أنّ كلمة **الانحراف**(Déviance) يقصد به "مجموع السّلوكات الفردية أو الجماعية التي لا تتوافق مع ...المعايير والقيم التي يعبر عنها أو يتقاسمها أعضاء مجموعة ما، فإنها تتسبب في خلق جو من التوترات ونشوب الصراعات، وتثير الرفض، وتتسبب أيضا في سلسلة عقوبات وتأنيب العزلة ولوم تنفيذها. وهناك فئات ومواضيع عديدة من الممكن ذكرها: التعدي على الأملاك، أو على

الأشخاص، أو على التقاليد، بالإضافة إلى الانتحار والتسمم ..." [1].

ومن جهة أخرى، تتنوع التعاريف المتعلقة بمصطلح السلوك، حيث يمكن أن يعرف على أنه: " كل ما يصدر عن الشخص من تغيرات في مستوى نشاطه في لحظة معينة، ويتسع السلوك ليشمل كل أنواع النشاط التي تصدر عن الفرد، والتي قد تتمثل في نوع من النشاط الحركي العضلي أو الفيزيولوجي أو الرمزي (اللفظي أو الإشاري)". [2]

ومن خلال ما سبق، يعدّ السلوك المنحرف بمثابة موقف اجتماعي؛ يخضع من خلاله الفرد إلى مجموعة من العوامل التي تقوده إلى تخطّي النظم الاجتماعية والمعايير المتفق على شرعيتها من قبل الأشخاص والمؤسسات، مما قد يؤدي إلى احتمال التصرف، أو تحقيق هذا الأخير وفقا لسلوكات غير متوافقة مع النظام الاجتماعي؛ هذا الأخير الذي أقيم؛ وفقا لظروف الأفراد وحاجاتهم والذي ينال استهجان الأشخاص له.[3]

2. مفهوم مواقع الشبكات الاجتماعية (Social Network Sites):

يعتبر الإعلام الجديد والمتمخض عنه مواقع الشبكات الاجتماعية – **أو ما يعرف عادة بشبكات التواصل الاجتماعي**–من بين أهم التكنولوجيات التي عرفت إقبالا واستخداما كبيرين من طرف الأفراد في حياتهم اليومية، فهي تعد بمثابة منصة اجتماعية منبثقة من وسائط الحاسبات الالكترونية(Computer–Mediated Communication)، مساهمة في توفير مناهج وأنماط اتصالية جديدة، ومعتمدة بصفة أساسية على توظيف أجهزة الكمبيوتر كأداة تعاونية في تسريع تشكيل المجموعات وتعزيز تأثير ونفوذ هذه الأخيرة.[4]

فالدارس لمواقع الشبكات الاجتماعية نفسه أمام حقيقة مفادها يدور حول الديناميكية الدائمة في مجال الاتصال بصفة عامة، والتطور المستمر في التكنولوجيات الحديثة لعلوم الإعلام والانترنت بصفة خاصة، حيث أصبحت هذه الأخيرة تمثل الوعاء المادي الذي يحتوي على كمّ هائل وغزير من البيانات والمعلومات والتطبيقات البرمجيّة، لاسيّما مواقع شبكات التواصل الاجتماعية ؛ هذه الأخيرة في حد ذاتها تتصف بديناميكية التطور ؛ وذلك نظرا لحاجات المستخدم المستمرة وعلاقاته المتشعبة، مما يضع الباحث أمام صعوبة حصرها ضمن مفهوم وتعريف شامل ودقيق ، حيث يمكن تحديد مقاربة مفاهيمية لمواقع شبكات التواصل الاجتماعية؛ من خلال مجموعة من السّلوكات والتفاعلات التي يقوم بها الفرد على شبكة الانترنت والتي تتجسد من خلال:[5]

1. إنشاء هوية فردية، أو جماعية، أو عامة وفقا لنظام يحدّها.
2. القيام بعمليات النشر وتبادل المعلومات بين مختلف الأفراد عن طريق المشاركة أو التشارك في المعلومات.
3. توضيح لائحة المستخدمين الآخرين الذين يشتركون فيما بينهم في الاتصال.

4.عرض مجموعة من الرسائل والمحتويات الاتصالية التي يتم تبادلها بين مختلف الأفراد، عبر واجهة هذه المواقع مع مراعاة طبيعة كل موقع في عرض هذه المضامين، ذلك من خلال الخصوصية التي يتميز وينفرد بها.

5. إمكانية إقامة علاقات حقيقية من خلال التحول من الواقع الافتراضي إلى الحقيقي.

ومن جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أن العلاقات الاجتماعية قد شهدت تغيرات جذرية نتيجة لظهور مواقع الإعلام الجديد والشبكات الاجتماعية(Social Network Sites)، ذلك لما تتيحه هذه الأخيرة من سهولة التواصل، وإمكانية البحث والوصول إلى مختلف البيانات والمعلومات المتعلقة بأحد أطراف العلاقة حسب الرغبة، ونشرها بالإضافة إلى مشاركتها عبر الفضاء الافتراضي.[6]

وتعتبر مواقع الشبكات الاجتماعية من جهة أخرى؛ ونختص بالذكر منها موقع فيسبوك (Facebook)، تويتر(Twitter)، مايسبيس(Myspace)...إلخ، بمثابة منصات تفاعلية متعددة الوسائط؛ تسمح للمستخدمين من خلالها بالتعبير عن ذواتهم ومشاركة اهتماماتهم، وبالتالي الوصول إلى توسيع دوائر العلاقات الاجتماعية فضلا عن زيادة وتيرة الاتصال بين مختلف الأفراد؛ مساهمة بذلك في تغيير أشكال توزيع المعلومات المعتمدة عبر وسائل الإعلام التقليدية. [7]

ثانيا: مواقع الشبكات الاجتماعية وأثرها في عولمة الجريمة:

أسهمت أنظمة الاتصالات الرقمية عبر مواقع الشبكات الاجتماعية في تبادل المعلومات المختلفة؛ عبر مسافات بعيدة من الكرة الأرضية؛ ويتجلى ذلك من خلال إمكانية تبادل الأفراد المتواجدين في مناطق متباعدة الحدود، والمختلفين من حيث الثقافات واللغات، للعديد من الرسائل الاتصالية بطريقة سريعة وآنية، وهذا ما كرس الاتصال الدولي، مما أسهم في تطور المعرفة عبر العالم (Global Knowledge)[8].

ومن جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أن اعتماد مواقع الإعلام الاجتماعي على **البث الرقمي** (Digital)؛يعدّ من أهم العوامل المساعدة على اتساع انتشار البيانات والمضامين، ونخصّ بالذكر العنيفة منها؛ حيث إن هذه الأخيرة أصبحت تعتمد على النظام الثنائي بدلا من التماثلي، مما يزيد في جودة المحتوى، ويقلل من عنصر التشويش، كما تعتمد مواقع الشبكات الاجتماعية على نظام بث الفيديوهات الرقمية (Digital Video Broadcasting) أو ما يعرف بـ (DVB)؛ التي تعمل على بث كميات هائلة من المحتويات والمضامين بسرعات فائقة إلى جماهير متعددين، وتعدّ من أهم العوامل المساعدة على عولمة مضامين العنف والجريمة. [9]

بالإضافة إلى ذلك، فقد سمحت التطورات، والتحسينات الفنية، والبرمجية الحاصلة على كل من الشبكة العنكبوتية، وأجهزة البث الرقمية بصفة عامة؛ بعولمة المضامين الإجرامية والعنيفة، وذلك من خلال توسيع نطاق وصولها إلى عدد كبير من الأفراد في العالم على اختلاف عاداتهم وتقاليدهم، وأعرافهم...إلخ، ودون إعطاء أي اعتبار لطبيعة الوسيلة الإعلامية، حيث إنه كلما اتسع نطاق انتشار هذه المضامين؛ كلما زاد احتمال التعرض لها من قبل شريحة واسعة، ومن ثمّة تزداد نسبة عدد الأفراد المتأثرين والمكتسبين للسلوكيات المنحرفة، حيث إن قابلية الاندماج المتواصل بين مضامين مواقع الشبكات الاجتماعية مع

تكنولوجيا الاتصال الحديثة أدت إلى بروز مجموعة من الخصائص الجديدة المنعكسة على الأنماط الاتصالية، والمتجسد أهمها في[10]:

1. الرقمنة، وسهولة الإنتاج، والتدفق الحر لمختلف المضامين، ونخصّ بالذكر منها العنيفة عبر تكنولوجيا الاتصال الحديثة.
2. إمكانية التجميع السريع، والحصول على مختلف المضامين والمحتويات العنيفة من مصادر متنوعة،وأوعية مختلفة.
3. سهولة الاتصال وإدارة المعلومات من خلال وسائل الإعلام الجديدة؛ ويتجلى ذلك من خلال إمكانية تحويل المضامين من صفة إلى أخرى، سواء من صور إلى فيديوهات أم إلى مقاطع صوتية...إلخ.

ثالثا: التفاعلية عبر مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيرها في صناعة الانحراف السلوكي من خلال الفضاء الافتراضي:

تعدّ التفاعلية (Interactivity)؛ من بين أهم الخصائص المساعدة على انتشار مختلف المضامين – وبصفة خاصة الإجرامية– على قدر واسع من المسافة؛ ويتجلى ذلك من خلال تحول الجمهور إلى مستخدمين؛وذلك عبر إمكانية تدخل الأفراد المتشتتين عبر مناطق متباعدة في المحتويات الإعلامية بصفة مباشرة، ودون عوائق، بالإضافة إلى إعادة صناعة المضمون سواء كان مكتوبا أم مصورا، فيتحوّل بذلك المستقبل إلى صانع للرسالة أو المحتوى الإعلامي. [11]

ومن جهة أخرى، يعكس كل من الاتصال والبث الرقمي المباشر دورا أساسا في تصوير المشاهد بطريقة درامية ومثيرة، كما يسهم في عدم تمكين المشاهد من فهم مختلف الأحداث بطريقة صحيحة، وقد يرجع ذلك إلى حق هذا الأخير في الحصول على المعلومة في الوقت الفعلي، ممّا قد يولد نوعا من عدم الاستقرار والفوضى، بالإضافة إلى التعتيم في المجتمع. [12]

ويمكن للاتصال الرقمي المباشر سواء عبر شبكة الانترنت أم من خلال اندماج هذه الأخيرة مع البث الفضائي عبر الأقمار الصناعية، أن يسمح بتوسيع انتشار المضامين العنيفة، والسّلوكات المنحرفة من خلال:[13]

1. القدرة على تغطية مساحات واسعة من الكرة الأرضية في أثناء عملية البث.
2. زيادة فعالية القدرات الإنتاجية للقنوات التلفزيونية.
3. القدرة على بث مجموعة من البرامج المتنوعة بصفة آنية،وإلى جهات متنوعة.

كما تجدر الإشارة إلى أنه يوجد العديد من العوامل المقترنة مع عنصر التفاعلية عبر الفضاء الافتراضي؛والإسهام في انتشار السّلوكات المنحرفة،حيث تتمثل أبرز هذه العوامل في أهم النقاط الآتية [14]:

1. صعوبة تحديد الروابط الضائعة عبر الشبكة من قبل المحققين.

2. عدم القدرة على رسم الحدود التي يتم من خلالها تحديد الأفراد المنحرفين من غيرهم.

3. الطبيعة الديناميكية في نقل الأخبار عبر مواقع الشبكات الاجتماعية من أبرز سهولة انتشار، وتدفق مختلف المضامين الإجرامية والعنيفة، ووصولها إلى أكبر شريحة من الأفراد.

4. كما يمكن أن نضيف من جهة أخرى، نقص خبرة ومهنية الإعلاميين، بالإضافة إلى عدم القدرة على التأكد من صحة المصادر، والجهات الناقلة للمعلومات، من شأنها أن تعمل على زيادة انتشار السّلوكات المنحرفة.

بالإضافة إلى ذلك فإنّ طبيعة المضامين الإعلاميّة عبر مواقع الشّبكات الاجتماعيّة، سواء تعلق الأمر بقدرة الرسالة على فهمها من طرف العامة، زيادة على بساطة اللغة المستخدمة، واختيار الصور الجيدة التعبير من الناحية السّيميائية، أم تناسب المحتوى مع مختلف صفات المشاهدين المتنوعة من حيث السن، والجنس، والمستوى التعليمي والثقافي...الخ، تعدّ من بين أهم العناصر المساعدة على انتشار المضامين الإعلامية عبر الفضاء الافتراضي؛ مما قد يساعد في وصول مختلف محتويات الجريمة عبر نطاق واسع، وبين مختلف الشرائح، ونخصّ بالذكر منها فئة الأطفال. [15]

رابعا: المواد الإجرامية والعنيفة عبر واقع الشبكات الاجتماعية وتأثيرها في إشباع الحاجات العدوانية لدى الأفراد:

تعدّ نظرية الاستخدامات والإشباع (Use and Gratification Theory)؛ جزءا وامتدادا لنظيرتها الحقنة تحت الجلد (Hypodermic Needle)، حيث إنها طورت من طرف (**جيربنر**–Gerbner) وزملائه، وتنطلق هذه النظرية من أنّ النظر إلى الجمهور المتعرض إلى محتويات الوسائل الإعلامية؛يعدّ متجانسا من حيث الخصائص وغير نشط، بالإضافة إلى كونه سلبيا (Passive)، ويتوجه إلى المضامين الإعلامية بغية تلبية مختلف رغباته،بحثا عن إشباع حاجاته المتنوعة، كما أن الجمهور يتوجه إلى انتقاء القنوات الإعلامية واختيار المضامين بطريقة عقلانية هادفة بالنسبة إليه ومقصودة؛ باحثا من خلال هذه الأخيرة عمّا يحقق إشباع مختلف احتياجاته و رغباته [16].

وفي ظل هذه النظرية يعدّ التعرض الدائم للمضامين السابقة الذكر من بين أهم العوامل المساعدة على انتشار السّلوكات المنحرفة في المجتمع بين العديد من الشرائح المكونة لهذا الأخير، و قد خصّت بالذكر منها طبقة الأطفال،

حيث حدد كل من الباحثين (**باربارا كارهي** – Barbara Karhé) و(**إنجريد مولر** – Ingrid Moller)، في محاولة منهما لكشف العلاقة بين مضامين العنف والسلوك المنحرف، مجموعة من المراحل الأساس التي يسعى من خلالها الفرد إلى إشباع حاجاته وميوله نحو العنف، بالإضافة إلى الاعتماد عليها واستخدامها في مختلف جوانب حياته اليومية، والتي يتجسد أهمها في النقاط الآتية: [17]

1. يتعرض الأفراد إلى مضامين العنف والجريمة دون قيود؛ وذلك نظرا للحرية الفردية في الوصول إلى المضامين، بالإضافة إلى كونها شرعية لا تتنافى، وتخالف القوانين داخل النطاق الجغرافي.

2. التعرض الدائم للمحتويات ذات الطابع العنيف يؤدي دورا رئيسا في نمو وتطور اكتساب السّلوكات المنحرفة لدى الأفراد.

3. وبعد أن يثبت الفرد – وبصفة خاصة الأطفال والمراهقون– مختلف المعلومات المتعلقة بكل من الجريمة والسلوك العنيف؛ يحدث نوعا من التوافق والائتلاف(Empathy) معها عاطفيا؛ ومن ثمّ تصبح مقبولة لديهم؛ مما قد يؤدي إلى زيادة احتمال التصرف وفقها.

4. في مرحلة لاحقة، تصبح هذه السّلوكات الإجرامية بمثابة المواقف الجاهزة التي يمكن أن يتصرف وفقها الطفل في حياته اليومية.

5. في مرتبة أخرى، بعد تشبع الفرد فكريا من الناحية النفسية العاطفية لمضامين العنف والجريمة التي تعرض لها من خلال التلفزيون، ينتقل إلى مرحلة الإنجاز أو التجسيد (Achievment)؛ حيث يصبح الفرد على استعداد تام للتصرف وفقا لمجموعة من السّلوكات العنيفة في بيئته الواقعية، وبين مختلف الجماعات الأولية التي ينتمي إليها.

خامسا: الآثار النفسية للمضامين الإجرامية والعنيفة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية:

يمكن للفرد المتعرض للعديد من مضامين العنف والجريمة أن يتأثر، وتتعزّز لديه العديد من السّلوكات المنحرفة، عبر مجموعة من المستويات والمتجسد أهمها في النقاط الآتية: [18]

1. التعرض لمضامين العنف عبر مواقع الشبكات الاجتماعية؛ قد يؤدي إلى اكتساب العديد من العادات السلبية التي من شأنها أن تدخل الفرد إلى عالم الجريمة.

2. التعرض المتواصل لمضامين الجريمة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية؛ تجعل العنف مقبولا اجتماعيا لدى الأفراد من مختلف الشرائح، وبصفة خاصة مستخدمي الفضاء الافتراضي.

3. تعدّ مضامين العنف، وخاصة المصورة أي السمعية البصرية؛ بمثابة المادة الدسمة التي يتخذها الأفراد– ونختص بالذكر منهم شريحة الأطفال والمراهقين– كذريعة من أجل تبرير تصرفاتهم المنحرفة في المجتمع.

4. يمكن للمؤسسات الإعلامية – ونخصّ بالذكر العاملة في مجال الفضاء الافتراضي– أن تعمل على انتشار الجرائم ومختلف مظاهر السّلوكات الإجرامية، وذلك من خلال تعميمها عند العامة، والتعريف بها وتعليمها عند الأفراد الذين يمتلكون ميولا إجرامية.

5. تعمل المضامين العنيفة والإجرامية عبر مواقع الشبكات الاجتماعية على تكوين شخصيات ناقمة على المجتمع، ويتجلى ذلك بصفة خاصة من خلال مشاعر الحرمان والإحباط التي تولدها لدى شريحة الأطفال.

6. يمكن للمحتويات العنيفة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية أن تعمل على توليد مشاعر اللامبالاة، التي قد تصعد في مراحل متقدمة إلى درجة التمرد على الآباء، والأنظمة المتعارف عليها،والقوانين.

7. تعدّ المضامين الإجرامية السمعية البصرية بمثابة الدافع الرئيس الذي يعطي مشاعر عدم الرضا عند الأفراد في المجتمع، سواء تعلق الأمر بالحقوق والواجبات أم من خلال تكوين العلاقات الشخصية.

سادسا: الآثار البيولوجية والسلوكية لمضامين العنف والجريمة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية:

تعدّ محتويات العنف عبر مواقع الشبكات الاجتماعية من أبرز المضامين العاملة على انتشار السلوكية المنحرفة في المجتمع، فقد أكد الباحثون أن التغطية المستمرة والمكثفة لأخبار العنف والجريمة من طرف وسائل الإعلام– ونختص بالذكر منها وسائل الإعلام الجديد؛ والمتجسد أهمها في مواقع الشبكات الاجتماعية– قد تسهم في خلق عدم الاستقرار، وتوليد شعور بالضغط والقلق عند مختلف الأفراد،لاسيما شريحة الأطفال والمراهقين، ذلك كون هذه الأخيرة غير قادرة على التمييز بين مختلف الأحداث والظواهر، بالإضافة إلى أنها تعمل على توليد الاضطراب النفسي والسلوكي لدى مستهلكي هذا النوع من المضامين، مما قد يؤدي إلى قلة الحساسيّة تجاه اختراق القوانين؛ ومن ثمّ الإسهام في اختلال النظام العام، وانعدام التوازن في المجتمع . [19]

ومن جهة أخرى،تعدّ الدراما المصورة– سواء كانت عبر التلفزيون أو عبر مواقع الشبكات الاجتماعية– من بين أهم الأعمال الفنية التي تكثر فيها مضامين العنف والجريمة، والأكثر مناسبة لها؛ ذلك لما لها من قدرة على عكس وتفسير مختلف الأفكار التي تعكس الواقع المعيش بصور محاكية للحياة الفعلية، أو من خلال ما تتيحه من حرية في الخيال، والمتجسد أهمها – في عموم الأحيان– في مشاهد العنف والصراع الذي يكون بين القوى الخيرة والشريرة في القصة؛ومن ثمّ تعدّ الدراما المصورة وبصفة خاصة تلك المتواجدة عبر محتويات مواقع الشبكات الاجتماعية؛ بمثابة البيئة الخصبة التي تنمو فيها مختلف السّلوكات الإجرامية والمنحرفة. [20]

بالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الخبراء المهتمين بالعلوم السلوكية، قد أكدوا على تأثير المضامين الإعلامية ذات الطابع المنحرف على الفرد، حيث إن المضامين العنيفة عبر وسائل الإعلام الجماهيري ومواقع الشبكات الاجتماعية – على سبيل الحصر – يمكن أن تخلف مجموعة من الآثار النفسية والبيولوجية مصحوبة بتغيرات هرمونية وجسمانية على الأفراد والأطفال، والمتمثل أهمها في مجموعة من النقاط يمكن أن نوجز أهمها في: [21]

1. ارتفاع في ضغط الدم لدى الطفل، وتزايد نبضات القلب.
2. تزايد نسبة الأفكار المتعلقة بإيذاء الأشخاص.

3. تزايد مشاعر العدوانية نحو الآخرين.
4. تزايد نسبة التصرف على نحو عدائي تجاه الآخرين.
5. نقصان المبادرة إلى مساعدة الضعفاء.

وفي السياق ذاته، فقد قام فريق من الباحثين، من خلال دراسة أجروها على مجموعة من الأفراد في محاولة منهم لإيجاد العلاقة بين التعرض لمضامين العنف عبر الوسائل الإعلامية (Media Violence Exposure) ويشار إليها باختصار (MVE) وبين الاضطرابات السلوكية (Disruptive disorder Behavior)، ومحاولة إثباتها من الناحية البيولوجية والعقلية على مدى انعكاسها على الجانب النفسي والسّلوكي لدى الفرد، عن طريق التصوير الوظيفي بواسطة الرنين المغناطيسي (Resonance Imaging Functional Magnetic)[22] ، أو ما يعرف بـ (FRMI)، حيث أثبتت الدراسة أن التعرض لمضامين العنف عبر الوسائل الإعلامية من قبل هؤلاء الأفراد، وبصفة خاصة المراهقين والأبناء في نهاية مرحلة الطفولة، يمكن أن تؤدي إلى تأثر وإحداث اضطراب على مستوى " **التلفيف الحزامي الأمامي الأيمن للمخ** (Anterior Right Rostral)، بالإضافة إلى " **اللوزة (الدماغية أو العصبية) اليمنى** "(Right Amygdala) و"**القشرة الأمامية الحركية**" (Premotor Cortex)؛ وذلك وفقا للتصوير **الوظيفي بالإشعاع الرّنيني**[23].

سابعا: مراحل مضامين الانحراف والجريمة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية ومراحل تأثيرها على الأفراد من الناحية السّلوكية:

تعدّ السلوكات المنحرفة أو الإجرامية التي يمكن أن يكتسبها الفرد وبصفة خاصة المراهقون، نتيجة للعديد من التراكمات الناتجة عن التعرض المستمر لهاته المحتويات، سواء تعلق الأمر بالمستوى الإدراكي المعرفي، أم النفسي،أم السلوكي كمرحلة نهائية، ومن جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أن نتائج التعرض إلى المضامين ذات الطابع العنيف عبر واقع الشبكات الاجتماعية يمكن أن تصنف عبر العديد من المراحل والمتجلي أهمها في كل من [24]:

1. **مرحلة التنبيه والفتيل** (Priming): وهي عملية يتم من خلالها فهم العدوان، وفقا للعمليات البسيطة للجهاز العصبي لمستهلك المحتويات العنيفة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية، سواء تعلق الأمر بالعاطفة، أم الإدراك والذاكرة. إلخ، وتقبلها من الناحية النفسية.
2. **مرحلة التعلم بالملاحظة** (Observational Learning): حيث يمكن للفرد من خلال تعرضه لمضامين العنف والجريمة وملاحظته لمختلف المشاهد عبر مواقع الشبكات الاجتماعية، أن يكوّن صورة ذهنية عن مختلف السلوكات الإجرامية.

3. **مرحلة التعلم غير النشط** (Enactive Learning): فمن خلال تكوين الطفل لصور ذهنية عن مختلف أنواع السلوكات المنحرفة والإجرامية، تصبح هذه الأخيرة بمثابة المواقف الجاهزة التي يمكن أن يتصرف وفقها في الحياة الواقعية مع مختلف الظروف التي تواجهه.

4. **مرحلة إضعاف ونقص الحساسية** (desensitization): فمن خلال كثرة التعرض إلى مضامين العنف عبر مواقع الشبكات الاجتماعية، تصبح حساسية الفرد ضعيفة تجاه السّلوكات المنحرفة والإجرامية في المجتمع.

5. **مرحلة التحفيز** (Arousal): حيث تعدّ مضامين العنف والجريمة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية بمثابة المحفز والمثير –بالنسبة لمستهلكها وخاصة شريحة الأطفال والمراهقين– التي تعمل على استثارة مشاعر الغضب والعدوانية لدى هذه الفئة.

6. **مرحلة التقليد** (Mimicry):ويتجلى ذلك من خلال تقليد الفرد – وبصفة خاصة الطفل– للسلوك عينه المتواجد في مضامين الجريمة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية.

ومن خلال ما سبق، تجدر الإشارة كذلك إلى أن المضامين الإجرامية المصورة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية يمكن أن تسهم في تعليم المشاهدين مختلف السّلوكات العنيفة والمنحرفة؛وذلك عبر المشاهد الترفيهية والهزلية، ولقطات تبادل إطلاق النار، وتصويرها بطريقة مشروعة في المجتمع، أو من خلال إبراز أن العنف يجسد أحسن طريقة للاستمرار في الحياة واسترداد الحقوق؛ حيث إنها يمكن أن تعمل على تعليم المستهلكين للمحتوى العنيف من خلال مختلف عمليات المشاهدة، ثم التّدقيق، والقبول،والاحتواء، والدافعية، ثمّ إنتاج السلوك العدواني، وبعد ذلك يأتي التصرف على نحو منحرف. [25]

خاتمة :

من خلال ما سبق من معطيات ومعلومات، يمكن الاستنتاج أن السلوك المنحرف وإمكانية اكتسابه من خلال مضامين العنف والجريمة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية يعدّ بمثابة ظاهرة متعددة الأبعاد، تحمل في طياتها مسؤوليات متنوعة، سواء تعلق الأمر بالمسؤولية القانونية الجزائية، أم الاجتماعية، أم التربوية، أم التعليمية، أم العائلية...الخ، بالإضافة إلى ذلك يمكن القول إنّ الوسائل الإعلامية – ونخصّ بالذكر منها مواقع الشبكات الاجتماعية، من خلال مضامينها المتنوعة – تعدّ بمثابة العملة ذات الوجهين؛ أحد شقيها يتمثل في الجانب السلبي والذي يتجلى عبر المضامين ذات الطابع الإجرامي والعنيف المؤثر بصفة احتمالية على مختلف الأفراد من الناحية السلوكية، في حين أن الوجه الآخر يتمثل في الجانب الإيجابي الذي يتجسد من خلال مختلف البرامج والمضامين التّحسيسيّة الهادفة إلى حماية مختلف الشرائح، سواء عبر حملات التوعية الفعالة أم عبر البرامج التثقيفية، بالإضافة إلى تركيزها على الجانب الردعي،

وذلك من خلال إعلام المواطن بمختلف التطورات الحاصلة في المجال القانوني، والمسؤولية الجزائية المترتبة عن مختلف السّلوكات الإجرامية بعدّ هذه الأخيرة بمثابة أقصى حالات الانحراف.

من خلال ما سبق يمكن أن نوجز أهم نتائج دراستنا في النقاط الآتية:

1. يسهم الفضاء الافتراضي الرقمي– وبصفة خاصة– مواقع الشبكات الاجتماعية في عولمة الجريمة والسلوك المنحرف لدى الأفراد؛ ذلك لما لها من قدرة كبيرة على الانتشار وسهولة الاستخدام.
2. يمكن للمضامين العنيفة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية؛ أن تؤثر على انفعالات الأفراد على مستوى كل من الناحية البيولوجية، والنفسية، ومن ثمّ السلوكية.
3. تسهم مضامين العنف والجريمة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية في إشباع الرغبات العدوانية والإجرامية لدى الأفراد المتعرضين لها.
4. يسهم التعرض المستمر لمضامين العنف والجريمة في تنمية السّلوكات المنحرفة لدى الأفراد.
5. يسهم الإعلام التّوعوي في التحسيس والوقاية، بالإضافة إلى التقليل ضد ظاهرة الانحراف السلوكي.

وفي ضوء النتائج السالفة الذكر، تجدر الإشارة إلى أنه للتخفيف من آثار مضامين العنف والجريمة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية على مختلف الشرائح في المجتمع، ارتأينا أهم المقترحات الآتية:

1. اقتراح تخصيص باب خاص في قانون العقوبات متعلق بتحديد مضامين العنف والجريمة عبر مواقع الفضاء الافتراضي.
2. اقتراح باب خاص في قانون الإعلام متعلق بمسؤوليات المهنيين والصحفيين في وسائل الإعلام ومواقع الشبكات الافتراضية تجاه مضامين العنف والجريمة.
3. زيادة تفعيل دور كل من الإعلام التوعوي والأمني في العالم العربي والجزائر خاصة؛وذلك من أجل التحسيس والوقاية من مخاطر المحتويات الإجرامية عبر مواقع الشبكات الاجتماعية.
4. تحصين المجتمع ضد العنف والجريمة انطلاقا من الأسرة والمدرسة، لأنهما النواة الأولي التي يكتسب منها الفرد وخصوصا الطفل مختلف مدركاته ومعارفه.
5. توسيع نطاق التوعية ضد المضامين العنيفة عبر الانترنت ليشمل المهنيين الإعلاميين، والآباء، والأطفال...إلخ، لأنّ هذه الأخيرة ليست هي وحدها المسؤولة عن انعكاس هذه المضامين عليها.
6. استثمار مواقع الشبكات الاجتماعية الأكثر استخداما من قبل الشباب كموقع فيسبوك(Facebook)، **تويتر** (Twitter)، **مايسبيس**(Myspace)...إلخ، في تحسيس هؤلاء بأخطار التعرض لمضامين العنف.

7. إقامة حملات توعوية – بصفة دورية– في المدارس، ومختلف المؤسسات لتحسيس الأفراد بخطر المضامين العنيفة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية وبقية الوسائل الأخرى.
8. إقامة ورشات تحسيسية للمهنيين الإعلاميين بخطورة هذه المضامين على كل أفراد المجتمع،لاسيما شريحة الأطفال والمراهقين.
9. الاعتماد على استراتيجيات المبادرة في مكافحة مضامين العنف والجريمة، وإيجاد الحلول المناسبة، بالإضافة إلى عدم الانتظار حتى تفاقم الظاهرة.
10. تحديد الأولويات من مختلف الأسباب الرئيسة الكامنة وراء جرائم الأطفال عبر مواقع الشبكات الاجتماعية، وتسليط الضوء عليها.
11. عدم التسرع في إعطاء الحلول بصفة عفوية من طرف الأفراد بل الاعتماد على نشر الحملات التي تقوم على دراسات إمبريقية، بغية التقليل من الأخطاء.

ومن خلال ما سبق يمكن الاستنتاج بأن مواقع الشبكات الاجتماعية تجسد بيئة افتراضية تحتوي في طياتها على العديد من المحتويات العنيفة؛ وتتكاثر عبرها مجموعة من الممارسات والأنشطة التفاعلية في مختلف الميادين؛ ذلك بين مجموعات متشعبة من المستخدمين مجهولي الهوية والمتباعدين من الناحية الجغرافية؛ حيث يمكن لهذه المحتويات أن تسهم في تعليم المستخدم للعديد من السّلوكات العنيفة، والتصرف وفقها في واقعه المعيش.

وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن لمضامين العنف والانحراف عبر مواقع الفضاء الافتراضي؛ ونختص بالذكر منها مواقع الشبكات الاجتماعية أن تسهم في التأثير على المتلقي من الناحية النفسية والبيولوجية؛ بالإضافة إلى تعليمه للعديد من السّلوكات المنحرفة التي قد تكون بمثابة ردّات فعل جاهزة يمكن التصرف نحوها في الواقع المعيش.

كما تجدر الإشارة من جهة أخرى، إلى أن التعرض المستمر لمضامين الانحراف والجريمة عبر مواقع الشبكات الاجتماعية أن يسهم في المتلقي وإضعاف حساسيته تجاه مشاهد العدوان التي يصادفها في واقعه المعيش، بالإضافة إلى تحفيزه لتقليد مختلف المواقف المتعلمة في محيطه الفعلي.

الهوامش:

[1] فيريول، جيل (2011). معجم مصطلحات عِلم الاجتماع، ترجمة: محمد الأسعد، أنسام. ط 1. لبنان: دار ومكتبة الهلال. ص70.

[2] سيد يوسف، جمعة (2000). الاضطرابات السلوكية وعلاجها، مصر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. ص 28.

[3] عثمان الصديقي ، سلوى وآخرون (2002). انحراف الصغار وجرائم الكبار: الحدود والمعالجة. مصر : المكتب الجامعي الحديث.ص23.

[4] Lin ,Kuan-Yu & Hsi-Peng, LU (2011).Why people use social networking sites : An empirical study integrating network externalities and motivation theory. Journal of Computers in Human Behavior. 27(03).1152-1161.

[5]. Boyd M.A, Danah & Ellison. B, Nicole (2008).Social Network Sites : Definition , History, and Scholarship .Journal of Computer Mediated Communication. 13(01).210-230.

[6] Van Ouytsel , Joris et al,.(2015).Exploring the role of social networking sites within adolescent romantic relationships and dating experiences. Journal of Computer in Human Behavior. (55).76-86.

[7] Luo , Qiujo & Zhong, Dixi (2015).Using, social network analysis to explain communication characteristics of travel-related electronic word-of-mouth on social networking sites. Journal of Tourism Management. (46).274-282.

[8] Mitra, Ananda (2010).The Digital World: Digital Communication From E-mail to the Cyber Community. New York: Infobase Publishing. pp.78-79.

[9] Cosemans, Annalene (2008). Satellite Technology in Schools. in Van Slyke, Craig .(Ed.). Information Communication Technologies: Concepts, Methodologies, Tools and Applications, 01, Hershey-New York :Information Science Reference. p.1615.

[10] Brito, Pedro Quellhas (2011) .The Digitalisation of Youth :How Do They Manage and Integrate Digital Technologies ?, in Burnset, Neal M et al,.(Eds.),Handbook of Research ON Digital Media and Advertising User Generated Content Consumption. Hershey-New York: Information Science Reference. p.348.

[11] Dovey, Jon & Kennedy, W. Helen (2006).Game Cultures: Computer Games as New Media. USA: Open University Press, pp .05-06.

[12] Taylor. M, Philip (1997). Global Communications. International Affairs and the Media since1945. London & New York :Routledge. pp.01-3.

[13] Mirabito M.A, Michael & Morgenstern .N, Barbara (2004). The New Communication Technologies, Applications, Policy and Impact. 05th edition. USA : Elsevier Publishing.p.75.

[14] Relph, Brian & Webb A, Stephen (2003). Internet Child Abuse. in Harlow, Elizabeth & Webb .A, Stephen (Eds.). Information and Communication Technologies in the Welfare Services. Londn & New York :Jessica Kingsley Publishers. pp.127-128.

[15] Machin, David & Van Leeuwen ,Theo (2007). Global Media Discourse: A Critical Introduction. London & New York :Routledge. p.105.

[16] Brown, Daring et al,.(2012). Consuming Television Crime Drama: A Uses and Gratification Approach, American Communication Journal.14(1), 47-60.

[17] Huesman. L, Rowell (2007).The Impact of Electronic Media Violence: Scientific Theory and Research. Journal of Adolescent Health.41(06).6-13.

[18] Siegel. J Larry (2010). Introduction to Criminal Justice. USA : Wadsworth. pp.105-106.

[19] Dowler, Kenneth (2003).Media Consumption and Public Attitudes Towards Crime and Justice: The Relationship Between Fear of Crime, Punitive Attitudes, and Perceived Police Effectiveness. Journal of Criminal Justice and Popular Culture.10(02).109-126.

[20] Cavender , Gray & Deutsch. K, Sarah(2007).CSI and moral authority: The police and science. Crime Media Culture Journal. 03(01).67-81.

[21] Dill .E ,Karen (2009). How Fantasy Becomes Reality: Seeing Through Media Influence. New York: Oxford University Press.p.70.

[22] أنظر:

Russel A. Poldracket al,.(2011). Handbook of Functional MRI Data Analysis. USA: Cambridge University Press.

[23] Kalninet. J, Andrew et al al,.(2011).The Interacting Role of Media Violence Exposure and Aggressive-Disruptive Behaviour in Adolescent Brain Activation During an Emotional Stroop Task. Journal of Psychiatry Research Neuroimaging.192(01).12-19.

[24] Huesman L,Rowell. Ibid. pp.07-08.

[25] Cooper-chen, Anne (2005).The World of Television, in Cooper-chen, Anne (Ed.). Global Entertainment Media: Content, Audiences, Issues.New Jersey :Lawrence Erlbaum Associates. p.12.